(٤٨) خطبة له ﷺ
فى التحذير من الدنيا

خطب رسول الله ﷺ بعد العصر، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله:

« ألاَ إنَّ الدُّنيا خَضِرةٌ حُلوةٌ، ألاَ وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كيفَ تَعملونَ، فاتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النِّساءَ، ألاَ لاَ يمنعنَّ رجلاً مَخَافةُ النَّاسِ أنْ يقولَ الحَقَّ إذا عَلِمَهُ».

ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف، فقال:

« إنَّه لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا فِيمَا مَضَى إلاَّ كَما بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذا فِيمَا مَضَى ».

(إعجاز القرآن ص ١١٣)

فى هذه الخطبة ـ كما قرأنا ـ يذكِّرنا النبى ﷺ بأن الدنيا خضرة حلوة: أى أنها خضرة من حيث المنظر، حلوة من حيث الذوق، والمراد أن الله زيَّنها للناس، فالنفوس تميل إليها ميلها إلى الشىء اللذيذ الطعم الجميل المنظر.

ثم إذا كان الرسول ﷺ قد قال بعد هذه الإشارة:

« **ألاَ وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كيفَ تَعملونَ** »:

فالمراد هو أن الله سبحانه وتعالى جاعلكم خلفاء الأرض تَخْلُفون من كان قبلكم فيكون لكم السلطان والسيادة ، وتكون مقاليد الأمور بأيديكم ، وخزائن الأموال تحت تصرفكم ؛ كما وعدكم الله عز وجل بذلك فى قوله :

﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ (١): ليرى سبحانه وتعالى كيف يكون تصرفكم فيما خوَّلكم من سيادة . . . إلخ .

ثم بعد ذلك يقول الرسول ﷺ :

« **فاتَّقوا الدُّنيا** » ، وذلك لأن حبها رأس كل خطيئة وسبب كل فساد وشر ، فهى التى تحمل أهلها على البغى والظلم ، وتقودهم إلى اللذات القاتلة ، وتشغلهم عن ذكر الله والعمل للآخرة .

« **واتَّقوا النِّساء** » ، وذلك لأن النساء شراك الفتن ، وحبائل الشيطان .

وفى الحديث :

« **مَا رَأيتُ مِنْ ناقِصَاتِ عَقْلٍ ودِيْنٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْكُنَّ** ».

وفى رواية :

« .. **فَمَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتنةً أضَرَّ علَى الرِّجالِ مِنَ النِّساء** » .

---

(١) سورة النور : ٥٥ .

قال العلقمى : فى الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**﴾(١) ، فجعلهن من عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع ، إشارة إلى أنهن الأصل فى ذلك . .

ثم إذا كان الرسول ﷺ قد قال بعد ذلك :

«**ألاَ لاَ يمنعنَّ رجلاً مَخافةُ النَّاسِ أنْ يقولَ الحَقَّ إذا عَلِمَهُ**» :

فهذا معناه أن الحق أحق أن يتبع ، وأنه يجب على الإنسان أن يقول الحق ولو كان مُرّاً ، وأن لا يخاف فى الله لومة لائم . .

وإذا كان الرسول ﷺ بعد ذلك قد ختم الخطبة بقوله :

«**إنَّه لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا فِيمَا مَضَى إلاَّ كَما بَقِىَ مِنْ يَومِكُم هَذا فِيمَا مَضَى**» :

فهذا معناه أن يوم الفراق قريب جداً ، وإلى هذا يشير لقمان الحكيم فى وصية له :

«**يَا بُنَىَّ إنَّكَ منذُ نزلتَ إلى الدُّنيا اسْتَدْبَرْتَهَا واسْتَقْبَلْتَ الآخِرةَ ، فَدَارٌ أنتَ إليها تسيرُ أقربُ مِنْ دارٍ أنتَ عنها تَرْحَل**» .

فلنتعظ بكل هذا ، والله ولى التوفيق .

* * *

(١) سورة آل عمران : ١٤ .